أجرى المقابلة: أنطوان شلحت وبلال ضاهر

مع الأستاذة الجامعية والمؤرخة المتخصصة في شؤون التيار العمالي

أنيتا شابيرا: إسرائيل تفتقر الآن إلى زعامة قادرة على اتخاذ قرارات دراماتيكية!

المشروع الصهيوني بالنسبة إلى الشعب اليهودي كان بمثابة نهضة من الناحيتين الثقافية والسياسية، ومن ناحية كونه نوعاً من انبعاث غريزة صحية لشعب أراد أن يتجدّد. أعترف بأن إقامة دولة إسرائيل جلبت كارثة على العرب في "أرض إسرائيل" لكنني لا أقرّ بأن هذا كان ذنبنا وحدنا فقط!

تعتبر البروفسور أنيتا شابيرا من أبرز المؤرخين في إسرائيل المتخصصين في تاريخ الحركة الصهيونية، ولا سيما تيارها العمالي. وخلال عملها كأستاذة في جامعة تل أبيب أصدرت العديد من الكتب حول الصهيونية، ومن بينها كتب سير ذاتية لعدد من قادة هذه الحركة الذين تركوا بصمات واضحة على مسارها، مثل بيرل كتسينلسون، ويغئال ألون وغيرهما.

كما أنها تعكف الآن على كتابة سيرة ذاتية لدافيد بن غوريون، وذلك تحت وطأة هاجس يلازمها منذ فترة وعبرت عنه أكثر من مرة في سياق هذه المقابلة الخاصة، وهو افتقار إسرائيل إلى ما أسمته "زعيم في قامة بن غوريون" يمكنه أن يتخذ قرارات دراماتيكية "تغلّب الجانب المدني على الجانب العسكري"، على حد تعبيرها.

وأشارت شابيرا إلى أن يغئال ألون كان مؤيداً شديد الحماسة والحزم والثبات لترحيل العرب، بل ونفذ بنفسه عمليات طرد جماعية إبان حرب ١٩٤٨، وذلك على الرغم من أنه كان قريباً جداً من العرب، بل وولد في وسطهم. وشدّدت على أنه لم يكن لديه أي تردد تجاه هذه السياسة خلال تلك الحرب. واقتبست عنه في كتابها القول في محاضرة ألقاها العام ١٩٥٠: "أعتقد أن عملية هرب العرب كانت عملية إيجابية. علاوة على ذلك، أعتقد أن ما قمنا به من إخلاء مناطق واسعة ذات قيمة عسكرية من السكان العرب المعادين كان أيضاً عملاً اضطرارياً مبرراً لا لفترة واحدة فقط، فترة القتال والمعارك، وإنما لفترة دائمة". كذلك رأى ألون في حرب ١٩٤٨ "فرصة تاريخية لن تتكرّر لتغيير الميزان

الديمغرافي والاستيطاني بين اليهود والعرب. وهي الفرصة التي لم يكن اليهود هم الذين أوجدوها أو بادروا لها، والتي لم يستغلها اليهود، على حدّ رأيه أيضاً، كما يجب. وبمقدار ما كانت الأمور منوطة به، فقد عمل [ألون] كل ما في وسعه ليس فقط من أجل احتلال مناطق "أرض إسرائيل"، وإنما أيضاً لتفريغها من العرب"، حسبما كتبت شابيرا. ومع ذلك فقد أشارت إلى أن بن غوريون رفض في تلك الحرب اقتراح ألون باحتلال الضفة الغربية، وبذا فإنه تصرّف برأيها كزعيم سياسي.

وقد تطرقت هذه المقابلة إلى عدد من مؤلفات شابيرا، وإلى رؤيتها العامة إزاء الوضع السياسي الحالي وما قد يحيل إليه، وخلال ذلك أعربت عن أملها بأن تبقى هناك احتمالات واقعية لتطبيق "حل الدولتين" كونه السبيل الوحيد للحفاظ على بقاء "الدولة اليهودية".

وبخصوص "الدولة اليهودية" أكدت أنها صيغة لإرساء العلاقة بين هذه الدولة وبين المواطنين العرب فيها، وخاصة في ضوء التطرّف الذي طرأ على مواقف هؤلاء المواطنين في الآونة الأخيرة، وجعلهم يطرحون أفكاراً من قبيل نزع الطابع اليهودي عن الدولة، وتحويلها إلى دولة المواطنين ومنحهم حقوقاً قومية.

الحركة العمالية كانت حامية للمصالح القومية

سؤال: كيف جئت إلى هنا؟

شابيرا: "جئت إلى البلاد في العام ١٩٤٠ من بولندا وكنت طفلة صغيرة في السابعة من عمرها. وقد وصلنا في يوم قام فيه أفراد تنظيم سري يهودي بشنق اثنين من أفراد الشرطة البريطانية. وكان المظليون البريطانيون في كل ركن. وسألت أمي حينها: 'لماذا جئنا إلى هنا؟'. وقد سكنّا في تل أبيب. حياتنا لم تكن سهلة في خمسينيات القرن العشرين الفائت، مثلما كانت عليه حال الجميع. ولم تكن لدى عائلتي موارد خاصة أو أي شيء من هذا القبيل. وكان والدي ووالدتي موظفين. والحديث في البيت كان دائما يجري عن أن المرأة يجب أن تعمل وأن تكون مستقلة. وكان هذا جزءاً من الرسائل التي حصلنا عليها من البيت. ومثل الجميع، في تلك السنوات، فإن كل شيء أثار اهتمامنا، وأردنا الحصول على كل شيء، والقيام بكل شيء على وجه السرعة.

لم تكن الأمور حينذاك تجري مثلما هي اليوم. فاليوم ينهون المدرسة الثانوية والخدمة العسكرية النظامية، ثم يسافرون إلى خارج البلاد لفترة ما. كنا نريد تحقيق كل شيء بسرعة. وقد تزوجت في سن مبكرة، وفي الوقت نفسه بدأت بالدراسة الجامعية.

أنيتا شابيرا.

درست التاريخ وعلم الاجتماع وتاريخ شعب إسرائيل. وكان زوجي يدرس في التخنيون [معهد الهندسة التطبيقية في حيفا]، وأنا درست في فرع تابع لجامعة القدس في حيفا، وهذا الفرع تحول لاحقا ليصبح جامعة حيفا. كان اسم هذا الفرع 'بيت إردشتاين'. ودرست في 'بيت إردشتاين' مدة عامين ثم انتقلنا إلى تل أبيب، وهنا واصلت الدراسة. وقد ركزت على دراسة تاريخ الصهيونية والييشوف ودولة إسرائيل بالصدفة. فعندما انتقلنا إلى تل أبيب لم تكن دراسة موضوعي التاريخ وعلم الاجتماع في المؤسسة نفسها، إذ كانت هناك المدرسة العليا للقانون والاقتصاد، وهناك كان يتم تدريس موضوع علم الاجتماع، ولم تكن لهذه المدرسة علاقة مع جامعة تل أبيب. وكانوا يُدرّسون موضوع التاريخ في جامعة تل أبيب ولكن لا يدرسون علم الاجتماع. وقد بدأت أدرس موضوع تاريخ شعب إسرائيل. وعندما فتحت جامعة تل أبيب برنامج الدراسة للقب الماجستير، بعث البروفسور [تسفي] يعفتس [وهو من أوائل المؤرخين الإسرائيليين وأحد مؤسسي جامعة تل أبيب] بدعوة شخصية للقائه إلى جميع الطلاب الذين أراد أن يواصلوا دراستهم العليا، وكنت أنا واحدة منهم. وكيف يمكن ألا نلبي هذه الدعوة الشخصية، وفي مجرّد هذا إطراء، خاصة وأني كنت ما زلت شابة؟. وهكذا توجهت إلى دراسة التاريخ العام، وكان التاريخ الحديث هو الفترة التي تركزت دراستي فيها. وقد تعلمنا دورة عن [كارل] ماركس الشاب. وكانت هذه دورة رائعة. وكنت الفتاة الوحيدة في هذه الدورة، كما أنني كنت أصغر بعشر سنوات على الأقل من جميع الطلاب الآخرين، لأن جميعهم كانوا قد أنهوا الدراسة للقب البكالوريوس وانتظروا افتتاح برنامج لقب الماجستير، ولم يكن بإمكانهم السفر إلى القدس من أجل متابعة الدراسة لأسباب اقتصادية.

كذلك كنت الأكثر ميلا نحو حزب مباي، وباقي الطلاب كانوا أكثر يسارية. وكان هناك الكثير من الشيوعيين الذي درسوا في هذه الدورة. وعندما تعين عليّ أن أكتب أطروحة الماجستير، قال لي البروفسور: 'أكتبي شيئا عن الحركة العمالية في انكلترا في بداية القرن التاسع عشر'. لكن حينها كان قد أصبح لدي طفل ولم يكن بإمكاني السفر إلى خارج البلاد. وكنت على وشك الخروج من مكتبه، فاستدرت وسألته: 'هل بإمكاننا أن نطبق ما تعلمناه على أرض إسرائيل؟'. عندها قال لي: 'نعم، لندرس موضوع التيارات الشمولية في حركة العمال الأرض إسرائيلية'. وهكذا بدأ اهتمامي وتخصصي في الموضوع. وقد كانت المواد مدهشة. وهي مواد تؤثر فيك. وعندما ذهبت إلى أرشيف حركة العمل في المرات الأولى لم يكن هناك شبان، وإنما عدد من المؤرخين القدماء. وقال لي العاملون هناك: 'ماذا تفعل شابة صغيرة في هذه الأقسام القديمة؟'. كان هذا مميزا جدا، وكان كل شيء أوليا. وقبل ذلك لم تكن هناك أبحاث تقريبا حول الموضوع. ربما كان هناك طالب للقب الدكتوراه في القدس واثنان آخران في تل أبيب ولم يكونوا قد أنهوا دراستهم بعد. ولذا، فإن هذا المجال لم يكن معروفا بعد. وأنا أفكر اليوم في هذا الأمر. فعندما بدأت في بحث هذه الموضوعات، كانت الأحداث المرتبطة بها قد وقعت قبل ذلك بأربعين عاما تقريبا. وإذا ما عدنا اليوم أربعين عاما إلى الوراء فإننا سنعود إلى حرب لبنان الأولى [حزيران ١٩٨٢]. ويبدو لي الآن كأن هذا حدث بالأمس. لكن في حينه، وعندما بدأت البحث كنت أنظر إلى تلك الفترة وكأنها ما قبل التاريخ. أي أنه لدينا اليوم شعور مختلف حيال الزمن عما كان عليه هذا الشعور في الماضي. وهذا أمر مثير".

سؤال: إذا ما عدنا إلى الوراء أربعين عاما سنصل إلى حرب تشرين/ أكتوبر العام ١٩٧٣. وهذه الفترة ما زالت محفورة جيداً في الذاكرة، ربما لأنه طوال هذا الوقت عبر الإسرائيليون عن الندم على ضوء الإخفاق في هذه الحرب.

شابيرا: "هذا صحيح. لكن ربما هذه مشكلة من هم في عمري. فلو لم أعاصر هذه الفترة بنفسي لما كنت أعتقد أنها كانت بالأمس. ولعل الشبان الذين يتناولون اليوم حرب يوم الغفران، يتعاملون معها على أنها وقعت في فترة ما قبل التاريخ، مثلما شعرت أنا عندما بحثت حركة العمل اليهودية في بداية القرن الماضي. وعلى أية حال، فقد بدأت أدرس للقب الدكتوراه في العام ١٩٦٩. وكان موضوع رسالة الدكتوراه النضالات من أجل العمل العبري، وهو موضوع في مركز مجالنا. وقد حددت الفترة ما بين العامين ١٩٢٩ و١٩٣٩. لكن عمليا كان هذا بمثابة بحث في التاريخ الاجتماعي لسنوات العشرين والثلاثين. وهنا دخلت في كل موضوع الصراع اليهودي – العربي أيضا. وقد درّست عن حركة العمل العبري والعمل العربي. وكان هناك طلاب عرب معنا. وأنهيت الدكتوراه في العام ١٩٧٣، وبدأت بالتدريس في جامعة تل أبيب منذ العام ١٩٦٨. وكان حظي حينذاك أن كل شيء كان في مراحل التطور. ولم تكن هناك مشكلة لقبولي في السلك الأكاديمي، إذ أن هذا أصبح صعبا اليوم. وأنا أرى أن من واجبي أن أدخل شبانا إلى هذا السلك، رغم أن هذا ليس أمرا بسيطا أبدا. وقد درّست في قسم تاريخ شعب إسرائيل، ودرس عندي طلاب كانوا يدرسون في العديد من الأقسام في الجامعة".

سؤال: نشرت رسالة الدكتوراه التي كتبتها في كتاب بعنوان "النضال المخيب للآمال". من أين جاء هذا المصطلح؟

شابيرا: "أنا أوجدته. وقد وضعت عنوان 'النضال المخيب للآمال' لأن هذا ما اتضح لي عندما عملت على الموضوع، ولم أكن أعرف ذلك مسبقا. وكانت المشكلة منحصرة في عمل اليهود في الزراعة فقط. ولم تكن مشكلة في العمل في البناء. ففي حينه كان اليهود يعملون في البناء، وكان هذا يعتبر عملا مرموقا. كما أنهم كسبوا أجرا أعلى بكثير. فإذا كان العامل في الزراعة يكسب ٢٠ قرشا في اليوم، كان العامل يربح نصف ليرة في البناء في اليوم. كان الفرق هائلا. واحتل العمال اليهود كافة الورش في فرع البناء. لكن في فرع الزراعة، فضّل الفلاحون، في قسم من البيارات، العمال العرب لأنهم كانوا أكثر خبرة وأرخص أجرا. كانوا يأخذون ١٧ قرشا في اليوم. وفي فترة نقص العمل، وكانت هناك فترات كثيرة كهذه، ناضل العمال اليهود من أجل الحصول على عمل. وفي فترات الازدهار لم يكن هناك عمال يهود لأنهم كانوا يذهبون للعمل في المدينة. ونشأ وضع كان يستحيل فيه الوصول إلى توازن بين الأمور. وهذا يحدث في وضع لا توجد فيه دولة أو سلطة. وكانت هناك بطالة في تل أبيب. وكان ربع القوة العاملة عاطلا عن العمل. وكانوا مستعدين للعمل في أي مجال. وكان الوضع مصيريا في تلك السنوات. وحتى نهاية فترة الانتداب كان عدد العمال اليهود والعرب الذين عملوا عند مشغلين يهود متساويا، حوالي خمسة آلاف عامل يهودي وخمسة آلاف عامل عربي. وكل هذا الوضع جلبني إلى التناقضات الداخلية في مفهوم حركة العمل. فمن جهة، آمنوا حقا بأخوة الشعوب. وفي سنوات العشرين اعتنوا كثيرا بالتنظيم المشترك مع العمال العرب. ومن الجهة الثانية، نظموا أعمال حراسة ضد العمال العرب. وهذا يعني أن العناصر نفسها التي كانت تبدو ليبرالية وتقدمية، كانت موجودة في مقدمة الصدامات مع العمال العرب. وكانت

وحتى نهاية فترة الانتداب كان عدد العمال اليهود والعرب الذين عملوا عند مشغلين يهود متساويا، حوالي خمسة آلاف عامل يهودي وخمسة آلاف عامل عربي. وكل هذا الوضع جلبني إلى التناقضات الداخلية في مفهوم حركة العمل. فمن جهة، آمنوا حقا بأخوة الشعوب. وفي سنوات العشرين اعتنوا كثيرا بالتنظيم المشترك مع العمال العرب. ومن الجهة الثانية، نظموا أعمال حراسة ضد العمال العرب، وهذا يعني أن العناصر نفسها التي كانت تبدو ليبرالية وتقدمية، كانت موجودة في مقدمة الصدامات مع العمال العرب.

هذه إحدى المشكلات الكبرى التي تتسبب بتوترات داخلية. ولم تكن هناك قيمة اقتصادية لهذا الموضوع في نهاية الأمر. كانت له قيمة من حيث مكانة الحركة العمالية، لأن الحركة العمالية ظهرت كحامية للمصالح القومية، مقابل الفلاحين [أصحاب البيارات اليهود] الذين ظهروا وكأنهم يفضلون مصلحتهم الشخصية على المصلحة القومية. وذلك لأن مشكلة استيعاب الهجرة [اليهودية] كانت المشكلة المركزية. ولا شك في أن هذا كان في مصلحة حركة العمال في السباق على الهيمنة".

سؤال: هل كنت ناشطة سياسيا؟

شابيرا: "لا. وسأقول لكما الحقيقة. لقد اقترحوا عليّ مرة أن أخوض انتخابات الكنيست من قبل حركة العمل. لكني لم أوافق".

سؤال: متى كان ذلك؟ وهل كنت في حينه بروفسوره معروفة؟

شابيرا: "كنت معروفة، وكنت أحمل لقب بروفسور، غير أن ما منحني مكانة عامة تعدى المكانة الأكاديمية، وكان السيرة الذاتية التي كتبتها عن بيرل كتسينلسون، والتي على ما يبدو دغدغت أناسا كثيرين".

سؤال: في حركة العمل؟

شابيرا: "ليس في حركة العمل وحسب. وحتى [زعيم حزب الليكود مناحيم] بيغن كتب رسالة لي. وهذا أمر جد مضحك. لقد كان بيرل كتسينلسون زعيما اجتماعيا، علما أنه مارس نشاطا سياسيا أيضا، وكان هذان الأمران مرتبطين ببعضهما. لكن يبدو أن سبب ذلك يعود إلى أنه في الثمانينيات، عندما نشرت الكتاب، كان قد حدث تحول في نظام الحكم، أي ما يسمى انقلاب العام ١٩٧٧ [عندما صعد حزب الليكود إلى سدّة الحكم لأول مرة في تاريخ إسرائيل]. وكان يسود حينذاك مزاج متعكر، والجميع يتساءل ما الذي سيحدث الآن؟. وعاد كتابي إلى ثنايا الأيام الخوالي. وربما لهذا السبب حقق نجاحا كبيرا. وهو كتاب جيد. ولكن أكثر ما ميزه أنه جاء في لحظة تاريخية ذات تداعيات كبيرة وتتسم بحنين كبير إلى الأيام الخوالي".

سؤال: هل بسبب تحول تلك الأيام الخوالي إلى شيء كان موجودا في الماضي وبات مفقودا في الحاضر؟

شابيرا: "بالضبط".

سؤال: وما هو هذا "الشيء" برأيك؟

شابيرا: "أعتقد أنه القيم المثالية. وأيضاً القيم الاشتراكية. إننا نتحدث اليوم عن الليبرالية. لكن في حينه تحدثوا عن الاشتراكية، وآمنوا بها حقا. وحتى عندما أتحدث عن سنوات الثمانين فإنه كان هناك مجتمع متساو في إسرائيل. وكان مؤشر المساواة لا يزال مرتفعاً. وعندما تقرأ أدبيات تلك الفترة، فإن الجميع يتحدث ضد الجري وراء الكماليات، ويتساءل عن الحاجة إلى جهاز تلفزيون ملون. اليوم نحن لا نتحدث ضد هذا على الإطلاق. ويوجد انعدام مساواة. ومع ذلك كان هناك نوع من الحنين إلى أيام خوال كهذه. لقد كان كل شيء جميلا وطاهرا. والصراعات كانت أقل وضوحا".

ألون الذي كان قريبا من العرب هو الجنرال الذي طرد أكبر عدد منهم!

سؤال: بعد ذلك ألفت كتابا عن يغئال ألون.

شابيرا: "صحيح. ومثلما كان بيرل يمثل جيل الآباء، والجيل الأول للاستيطان الصهيوني في البلاد، فإن يغئال ألون مثّل جيل الأبناء، أبناء البلاد، وجيل البلماح، أي الجيل الأول الذي ولد في البلاد. فقد ولد في أرض إسرائيل في العام ١٩١٨، في مسحة.

ومثلما كان بيرل يمثل جيل الآباء، والجيل الأول للاستيطان الصهيوني في البلاد، فإن يغئال ألون مثّل جيل الأبناء، أبناء البلاد، وجيل البلماح، أي الجيل الأول الذي ولد في البلاد. فقد ولد في أرض إسرائيل في العام ١٩١٨، في مسحة. وكانت لديه مرضعة عربية. وكان هناك عمل عربي في مسحة. وهذا أكيد. وجلس حراث عربي مع عائلته في ساحة منزله. وهذا يعني أنه كان قريبا جدا من العرب. ومع ذلك فإن يغئال ألون، وأنا ألفت كتابا حول ذلك، هو الجنرال الذي طرد أكبر عدد من العرب من بين كل الجنرالات في حرب الاستقلال [حرب العام ١٩٤٨]".

وكانت لديه مرضعة عربية. وكان هناك عمل عربي في مسحة. وهذا أكيد. وجلس حراث عربي مع عائلته في ساحة منزله. وهذا يعني أنه كان قريبا جدا من العرب. ومع ذلك فإن يغئال ألون، وأنا ألفت كتابا حول ذلك، هو الجنرال الذي طرد أكبر عدد من العرب من بين كل الجنرالات في حرب الاستقلال [حرب العام ١٩٤٨]".

سؤال: لماذا؟

شابيرا: "لقد أجرى فصلا حادا بين الأمور. وهو تحدث عن ذلك علنا. وقد عثرت على وثيقة واقتبستها في الكتاب، يتحدث فيها عن هذا الأمر علنا. لقد اعتقد يغئال ألون أنه ينبغي الفصل بين التعاطف الشخصي العميق الذي كان لديه حقا تجاه العرب والعروبة، التعاطف الناجم عن أنه كان ينتابه شعور جيد برفقة العرب والطعام العربي والقدرة البدوية، كونه تربى على ذلك. لكن من الجهة الأخرى وعندما كان يدور الحديث على الجانب القومي، وعندما يتم الانتقال من المسار الشخصي إلى المسار القومي، فإنه توجد هنا منافسة على البلاد وهذا ما ينبغي فعله. ومعروف أن ألون جاء إلى بن غوريون، قبل نهاية الحرب في العام ١٩٤٨، وسلمه مذكرة قال فيها إنه يجب احتلال الضفة الغربية كلها. وكان بإمكان الجيش الإسرائيلي القيام بذلك في حينه، لأن عدد جنوده بلغ المئة ألف. ورفض بن غوريون ذلك، وقال كفى، مشيراً إلى أن الوضع في حينه كان يفوق التوقعات، وإلى أن العالم لن يتحمل أكثر من ذلك".

سؤال: ربما انطلاقا من نظرة براغماتية مصلحجية...

شابيرا: "أعتقد انطلاقا من اعتبارات تتعلق بالتعامل مع العالم الكبير، وانطلاقا من الاعتبارات الديمغرافية. وقد قال إننا لسنا بحاجة إلى أرض أكثر، وإنما بحاجة إلى يهود أكثر. هكذا قال بكل وضوح. وهنا بإمكانكما أن تريا الفارق بين الجنرال الشاب [ألون]، وقد كان في الحادية والثلاثين من عمره وناجحا وجميل المظهر، وبين السياسي والزعيم، الذي كان أكبر سنا ويرجح الرأي أكثر ويفكر بشكل أوسع. وبعد العام ١٩٦٧ ستكون لدى يغئال ألون رؤية أكثر نضوجا، لكن هذه لم تكن موجودة لديه بعد العام ١٩٤٨ . وقد تحدث وكتب في كتاب البلماح: 'انتصرنا في الحرب وخسرنا السلام، لأننا لم نحتل ما كان ينبغي أن نحتله'".

سؤال: يقصد أنه لم يتم احتلال ما فيه الكفاية من الأرض.

شابيرا: "بالضبط. وهذا مثير. هذا يظهر أنه يوجد فارق بين الشبان الذي لا يرون الصورة الشاملة، وبين أشخاص أكبر سنا وأكثر نضوجا يدركون أنه توجد أمور أخرى عدا مسألة الأرض والقوة".

سؤال: وأنت بحثت أيضاً موضوع تقبل الحركة الصهيونية لفكرة استخدام القوة، وكان ذلك قبل تأسيس إسرائيل. متى بدأ هذا التفكير؟

شابيرا: "من الناحية الرومانسية، كانت هناك أحلام حول بناء قوة يهودية منذ البداية. لكن هذا كان مجرد كلام، مجرّد رومانسية. فقد آمنت الحركة الصهيونية أن بإمكان اليهود الاستيطان في البلاد وخاصة بعد الانتداب البريطاني وأن يصبحوا أغلبية من دون حرب ومن دون استخدام القوة".

سؤال: هل كان لهذا أساس في أرض الواقع؟

شابيرا: "لو أنه في سنوات العشرين، وقبل أن تتفاقم التناقضات اليهودية – العربية، جاء إلى البلاد نصف مليون يهودي، بدلا من ثلاثين ألفا هنا وأربعين ألفا هناك، إذ أنه في العام ١٩٣١ كان عدد اليهود هنا ١٥٠ ألفا، ولو كان هناك نصف

مليون في حينه، فريما أصبح اليهود أغلبية. لكن لم يكن هناك مال ولا أفراد. والحركة الصهيونية، وعلينا أن نتذكر هذا، هي حركة أقلية في الشعب اليهودي، وصغيرة جدا. وهكذا هو الأمر بالنسبة إلى أية حركة وطنية. فكل حركة وطنية تبدأ كحركة صغيرة. ما العمل، هذه حقيقة. لكن من الناحية العملية، وحتى بداية سنوات الثلاثين، كان تطور الحركة الصهيونية أبطأ بكثير مما توقعوا في البداية. لأنهم افترضوا أنه بعد وعد بلفور والانتداب ستأتي الانطلاقة الكبرى. وهذه لم تأت، لأن اليهود لم يأتوا. جاء عدد قليل وكانت هناك صعوبات اقتصادية هائلة. وفي العام ١٩٢٧ كان عدد اليهود الذين هاجروا من البلاد أكثر من عدد الذين هاجروا إليها. لأن الوضع كان صعبا للغاية. وفي حينه ألقى بن غوريون خطابا أمام العمال في تل أبيب، وكان هذا خطابا صهيونيا. ووقف أحد العمال وصرخ: ' أيها الزعيم، أعطنا خبزا'. ورد بن غوريون عليه: 'لا أملك خبزاً... لدي حلم'. لكن من الأحلام لا يمكن أن نأكل. إذن، في تلك الفترة كانوا لا يزالون يؤمنون بأن هذا [أي الاستيطان في فلسطين] سيتم بطرق سلمية. كذلك ساد شعور بأن الحركة الوطنية العربية تكاد تكون غير موجودة. وهذا صحيح أيضا، لأنه في الواقع، حتى سقوط فيصل في سورية، كان تركيز الحركة الوطنية الفلسطينية على ما يحدث في سورية. وكان أمل الحركة الوطنية العربية منحصراً في إقامة دولة وطنية كبرى. ولم تكن هناك حركة فلسطينية منفصلة، لأنها تطورت بصورة بطيئة خلال سنوات العشرين والثلاثين. وفي العام ١٩٢٩ ، بعد الاضطرابات [ثورة البراق]، توصل بن غوريون إلى الاستنتاج بأنه توجد حركة وطنية عربية [في فلسطين]. وتوقف عن التحدث حول أخوة العمال وعن تنظيم العامل العربي. وقال إن هذه ليست حركة ذات عمق ثقافي كبير، لكنها حركة تُجمّع الجماهير، وبالنسبة لنا فإن هذه باتت حركة وطنية. وانتهى الأمر. ولكي نفهم إلى أي مدى لم يكن التوجه إلى استخدام القوة واقعيا، فإنه حتى العام ١٩٣٦ أو ١٩٣٧ ، كانت ميزانيات الهاغناه صفرا. وعندما أرادت المستوطنات شراء السلاح، فإنها كانت تشتريه من ميزانياتها. ووصلت الأمور إلى درجة أنه عندما أرادوا جمع السلاح التي في حيازة المستوطنات خلال حرب الاستقلال، رفضت هذه إعطاء السلاح. وقالت إنهم اشترت السلاح بأموالها. وعمليا، فقط خلال الثورة العربية [الثورة الفلسطينية ١٩٣٦ – ١٩٣٩]، بدأ الإدراك لدى الحركة الصهيونية بأنه لا مناص من استخدام القوة. وأكثر من ذلك، فما حدث في حينه هو تقاطع بين هذا الوعي من جهة، وظهور جيل أبناء البلاد، مثل يغئال ألون وموشيه

يغئال ألون (يمين).

دايان وآخرين، من الجهة الأخرى. والجيل القديم، رغم كل ما قاله، كان يتفوق بالكلام أكثر من الأفعال. أبناء هذا الجيل لم يحملوا السلاح ولم يفكروا بالاتجاه العسكري أبدا. لكن منذ ذلك الحين استوعبوا ذلك. وبالطبع فإنه كان للحرب العالمية الثانية دور في ذلك. وأنا لا أتحدث عن المحرقة النازية [الهولوكوست]، وإنما عن أن الملايين كانت تحارب. وهذا الأمر، الروح القتالية، تحول إلى روح مركزية لتلك الفترة في جميع البلدان، وهذا ما كانت تبثه الإذاعات وما تقوله الأغاني والكتب. وبالمناسبة كان يسود هنا تأثير سوفييتي قوي. وتوصلت القيادة والشبان هنا إلى قناعة بأنه لا توجد طريق آخر غير التسلح".

ساد شعور بأن الحركة الوطنية العربية تكاد تكون غير موجودة. وهذا صحيح أيضا، لأنه في الواقع، حتى سقوط فيصل في سورية، كان تركيز الحركة الوطنية الفلسطينية على ما يحدث في سورية. وكان أمل الحركة الوطنية العربية منحصراً في إقامة دولة وطنية كبرى. ولم تكن هناك حركة فلسطينية منفصلة، لأنها تطورت بصورة بطيئة خلال سنوات العشرين والثلاثين. وفي العام ١٩٢٩، بعد الاضطرابات [ثورة البراق]، توصل بن غوريون إلى الاستنتاج بأنه توجد حركة وطنية عربية [في فلسطين]. وتوقف عن التحدث حول أخوة العمال وعن تنظيم العامل العربي. وقال إن هذه ليست حركة ذات عمق ثقافي كبير، لكنها حركة تُجمّع الجماهير،

سؤال: تأثير سوفييتي على من؟

شابيرا: "على حركة العمال وعلى أبناء الشبيبة. فقد تمت هنا ترجمة كل آداب الحرب السوفييتية. وكان يوجد في حقيبة كل عضو في البلماح كتاب بعنوان 'أفراد بانفيلوف'. وهم أفراد وحدة قاتلت عند مشارف موسكو في شتاء العام ١٩٤١ ، وأوقفت تقدم الجيش الألماني. وعندما تقرأ الأوصاف في الكتاب، اليوم، لا يمكنك أن تفهم ماذا رأى أفراد البلماح في ذلك. وأفراد البلماح كانوا ميليشيا، حركة أبناء شبيبة، غير رسميين، بدون زي عسكري، لا يحترمون الرتب، وفوضويين. وهناك في الاتحاد السوفييتي كانت طاعة حديدية. والمشهد المركزي في الكتاب يتحدث عن إعدام أفراد الوحدة زميلا لهم لأنه فرّ. وأنا لا أذكر أنه حدث مشهد كهذا في تاريخنا كله. وهذه عموما روح أخرى، لكن هذا السحر الذي كان للاتحاد السوفييتي هنا هو الذي كان يوجه اليسار في العالم كله، وليس في البلاد فقط".

سؤال: هل كان اتخاذ القرار باستخدام القوة موازيا للقرار بإقامة دولة؟ لأنه في تلك السنوات، سنوات الثلاثين، لم يكن قد تم بعد اتخاذ قرار بإقامة دولة. هل كان هناك تأثير لأحد القرارين على الآخر؟

شابيرا: "المرة الأولى التي تم فيها طرح فكرة التقسيم، كانت خلال عمل لجنة بيل في العام ١٩٣٧ ، وكانت هذه المرة الأولى التي تحدثوا فيها بجدية عن دولة مستقلة، وتقسيم البلاد إلى دولتين وإقامة دولتين مستقلتين. وكان يتعين على البريطانيين أن ينفذوا ذلك. وهذا يعني أن تنفيذ ذلك لم يكن مقرونا بالحرب. ومنذ تلك اللحظة فصاعدا لم تفارق بن غوريون فكرة أن إقامة الدولة مقرونة بالتقسيم. وقد حمل هذا الرأي حتى آخر يوم له. ولذلك قال بعد العام ١٩٦٧ إنه يجب إعادة كل شيء ما عدا القدس وهضبة الجولان. وهذا نابع من نظرته إلى المشكلة الديمغرافية والدولة اليهودية. والآن سنعود إلى الوراء، ففي العام ١٩٤٢ مرر بن غوريون قرارا في مؤتمر بلتيمور، يتحدث عن إقامة دولة يهودية بعد الحرب العالمية الثانية، وكانت لا تزال هذه دولة بالموافقة، ولكن ليست بموافقة عربية. والعرب ليسوا مذكورين في خطة بلتيمور. وهشومير هتسعير اعترض على عدم أخذ العرب بالحسبان. وكان هناك حزب آخر، هو حزب 'الهجرة الجديدة'، وهم المهاجرون من أوروبا الوسطى، وقد عارض هؤلاء خطة بلتيمور لهذا السبب أيضا. لكن الأغلبية أيدت خطة بلتيمور، واعترفت أيضا بأن تطبيقها سيكون مقرونا بنضال، ولم يكن واضحا أنه ستنشب حرب. ولم يكن لدى بن غوريون، منذ العام ١٩٤٥ ، أي شك في أنه ستنشب حرب. كما أنه قدّر أيضا أن الحرب لن تكون ضد عرب إسرائيل فقط، وإنما مع الدول العربية أيضا. لقد تمتع بن غوريون بحدس تاريخي مذهل. ولم تكن الدول العربية قد قررت حينها الدخول في الصراع. لكن كان واضحا له أن هذا ما سيحدث. وجميع هؤلاء الشبان، في البلماح، قالوا إن الغاية الآن هي الكفاح ضد البريطانيين، مثلما كان يقول قادة منظمة ليحي. وعندما قال لهم بن غوريون أن يتوقوا عن الكفاح ضد البريطانيين، لأن البريطانيين سيقضون

على قوة الهاغناه، وأنه من المتوقع أنه نخوض قريبا حرباً مع العرب، اعتقدوا أنه مسخ. هذا مثير جدا. وقد سمعت ذلك من أعضاء في البلماح. وقالوا إنهم لم يصدقوا وأن العجوز [كما كانوا يلقبون بن غوريون] قد جنّ. لكن كانت لدى بن غوريون حواس تاريخية لتوقع سير الأمور".

سؤال: ألا تفكرين في إجراء دراسة عن بن غوريون؟

شابيرا: "إنني أكتب حاليا سيرة ذاتية لبن غوريون، وهي قصيرة، حوالي مئتي صفحة".

سؤال: وعم ستتحدثين فيها؟

شابيرا: "عن الأمور التي أقولها لكما. لقد كانت لدى بن غوريون مميزات الزعيم. وكان يتمتع، قبل كل شيء، بشجاعة مدنية وليست عسكرية. وكان قادرا على اتخاذ قرارات صعبة. وهو لم يخف من ألا يكون محبوبا. وكان يقول 'أنا لا أفعل ما يريده الشعب، وإنما ما أعتقد أنه لمصلحة الشعب'. اليوم لا توجد زعامة كهذه، وحتى لو كانت هناك زعامة كهذه فإنني لا أعرف ما إذا كنا سنتقبلها. هذه قوة الزعيم في فترة دراماتيكية للغاية".

سؤال: ما تعليقك على حقيقة أن معظم القرارات المصيرية في تاريخ إسرائيل اتخذها زعماء، مثل اتفاق كامب ديفيد في العام ١٩٧٧، واتفاق أوسلو، والانسحاب من جنوب لبنان، وخطة الانفصال عن قطاع غزة؟.

شابيرا: "هذا صحيح وأنا أتفق معكما. ففي نهاية المطاف يبقى الأمر رهن القدرة على إظهار الزعامة. والمشكلات التي نواجهها اليوم هي بسبب انعدام الزعامة. ودعوني أقول انعدام الزعامة لدى كلا الجانبين. هناك تعبير في التراث اليهودي يقول: 'الأجنة دنت من المولد ولا قوة للولادة'، وهو يتحدث عن المرأة التي توشك على الولادة لكن لا توجد لديها القوة للقيام بذلك. هذه هي القضية هنا".

سؤال: هل اتخاذ القرار باستخدام القوة، هو الذي أدى أيضا إلى المجازر التي ارتكبتها المنظمات الصهيونية في القرى والمدن العربية في العام ١٩٤٨؟

شابيرا: "كانت هناك حالات في تاريخنا لا ننظر إليها برضى اليوم. وهي ليست كثيرة نسبيا. وإذا ما قارنت بيننا وبين دول أوروبية، مثل صربيا وألبانيا، فإن الحالات التي حدثت عندنا كانت حقا غير مألوفة، وخسارة أنها حدثت. ونحن نخجل بأنها حدثت. لكن لم تكن حالات كثيرة نسبيا. وقد حدث هذا بالأساس بعد غزو الدول العربية. وساد حينذاك شعور بالغضب [لدى

بن غوريون في صورة تعود لأواخر الأربعينيات.

اليهود] ولم تعد هناك رأفة، بسبب عدد القتلى الذين سقطوا. وفعلا سقط عدد كبير من القتلى، وكانت الحرب قاسية. وهكذا كان الوضع عند الحدود في الشهر الأول بعد الغزو. وفي فترات كهذه تحدث أحيانا أعمال تتميز بعدم الطاعة وفقدان السيطرة على الجنود".

سؤال: أنت تدعين عمليا أن هذه المجازر كانت أعمالا قام بها أفراد بقرارهم الشخصي؟

شابيرا: "المجازر لم تكن أبدا... بأوامر من أعلى. تم إصدار أوامر من أعلى بتنفيذ عمليات طرد هنا وهناك، مثلما حدث في الرملة واللد. لكن لم يتم إصدار أوامر بتنفيذ مجازر بكل تأكيد".

سؤال: لكن المجازر هي التي دفعت الكثير من الفلسطينيين إلى النزوح.

شابيرا: "سأعطيكما مثالا. هناك القصة المشهورة عن قرية الدوايمة [التي وقعت فيها مجزرة بشعة للغاية] قرب الخليل. وكانت هناك وحدة في اللواء الذي قاده إسحق ساديه، تحت قيادة الجبهة العسكرية الجنوبية وكان قائدها يغئال ألون. وتحدث ألون عن أنه يجب طرد السكان من الدوايمة، ولم يكن يريد ارتكاب مجزرة بأي حال. وتم إجراء تحقيق لكن ساديه لم يتعاون معه. وصمت ألون حيال ذلك، لأن ساديه كان معلمه. لكن لا بُد من القول إنه جرى تحقيق، وهذا لم يكن أمرا حسنا. وقد أمر ألون الجنود بأن يدفنوا الجثث، أي أنه اضطر أولئك الذين فعلوا ذلك بأن يقوموا بعملية الدفن. كان هذا مروعا. لكنني لم أصادف مجزرة تم تنفيذها بأوامر مباشرة من القيادة العليا".

لقد تمتع بن غوريون بحدس تاريخي مذهل. ولم تكن الدول العربية قد قررت حينها الدخول في الصراع. لكن كان واضحا له أن هذا ما سيحدث. وجميع هؤلاء الشبان، في البلماح، قالوا إن الغاية الآن هي الكفاح ضد البريطانيين، مثلما كان يقول قادة منظمة ليحي. وعندما قال لهم بن غوريون أن يتوقفوا عن الكفاح ضد البريطانيين، لأن البريطانيين سيقضون على قوة الهاغناه، وأنه من المتوقع أنه نخوض قريبا حربا مع العرب، اعتقدوا أنه مسخ. هذا مثير جدا. وقد سمعت ذلك من أعضاء في البلماح.

اليهود لم يستوطنوا في الضفة الغربية قبل ١٩٤٨

سؤال: يدعي الإسرائيليون، وخاصة الصهاينة، أن الضفة الغربية هي مهد اليهودية. لماذا لم يستوطن اليهود في الضفة الغربية قبل العام ١٩٤٨؟

شابيرا: "لسبب بسيط جدا، وهو أن الاستيطان الصهيوني ذهب إلى الأماكن التي كان يوجد فيها عدد قليل من العرب، والأماكن التي كانت فيها أراض يمكن شراؤها. حتى العام ١٩٤٨ اشترى اليهود كل الأراضي [التي استوطنوا فيها]. ودفعوا المال مقابلها. وبالمناسبة، معظم هذه الأراضي كان بملكية خاصة. وحتى أنها لم تكن أراضي تابعة للكيرن كييمت [أي الصندوق الدائم لإسرائيل]. وفي هذه الأماكن، وهي في مناطق السهل الساحلي ومرج بن عامر وإصبع الجليل، كانت الأراضي متاحة للشراء والسكان [العرب] كانوا قلائل. وفي المقابل، فإنه في الجبال كان هناك اكتظاظ سكاني عربي، ولذلك لم يستوطنوا هناك. إضافة إلى ذلك، فإن المحاولات للاستيطان في الجبال لم تكن ناجحة. فقد أقاموا هناك مستوطنات معاليه هَحميشا، كريات عنافيم، عطاروت ونافيه يعقوب، وبعد ذلك غوش عتصيون، وكان ذلك بعد الحرب العالمية الثانية. هذا كل شيء. لم يكن هناك استيطان في هذه المناطق لأنه لم تكن هناك أراض متاحة للشراء. وهناك أمر آخر، وهو أنهم لم يعرفوا كيف يقيمون مستوطنات كهذه من الناحية الاقتصادية. ففي منطقة الساحل عملوا بالأساس في زراعة الكروم وبعد ذلك في البيارات. وكان بالإمكان كسب الرزق من البيارات. لكن لم يكن ممكنا زراعة هذه الأمور في الجبال. أي أنهم لم يعرفوا كيف يتعاملون مع الاستيطان في الجبال.

المستوطن حنان بورات (يمين) وموشيه ليفنغر فوق الأكتاف احتفالا بالمصادقةعلى انشاء أول مستوطنة في الضفة الغربية عام ١٩٧٥.

"وأريد أن أقول شيئا فيما يتعلق بكل موضوع أرض آبائنا. حتى صعود مناحيم بيغن إلى الحكم [في انتخابات العام ١٩٧٧]، كانت الفكرة، دائما، أنه لا يوجد شك بأن لدينا علاقة تاريخية مع أرض إسرائيل... مع كل أرض إسرائيل. وهذا لا يعني أن علينا الاستيطان في كل أرض إسرائيل. فالاستيطان في أرض إسرائيل نابع من توفر الإمكانيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغير ذلك من الأسباب. ولسنا ملزمين بالاستيطان في قلب المناطق العربية. وبالمناسبة، كانت هذه سياسة الحكومات الإسرائيلية حتى العام ١٩٧٧. وعمليا لم يستوطنوا في الجبال حتى كسرت حركة غوش إيمونيم الإجماع وأرغمت [رئيس حكومة إسرائيل بين الأعوام ١٩٧٤ – ١٩٧٧] إسحق رابين على

الاستيطان في غور الأردن حدث في فترة حركة العمل. كذلك فإن هذه الحركة سمحت بإقامة مستوطنات في منطقة غوش عتصيون. ولنقل إنه كان لدى القيادة كلها تعاطف مع غوش عتصيون، لكن الاستيطان في الخليل لم تكن هناك أية حاجة إليه أبدا، بل إنه عبر عن ضعف القيادة، التي لم يكن لديها القوة لإخراج الحاخام موشيه ليفنغر وأنصاره من الخليل. ولو منعت ذلك في حينه، لربما تم منع مصائب كثيرة حدثت منذ ذلك الوقت.

إقامة معسكر في كدوم. وكان الاستيطان في حينه في غور الأردن، وعند مشارف رفح، ولكن ليس في الجبال. وما زلت أعتقد حتى هذا اليوم أن هذا كان خطأ. وأعتقد أنه لم يكن ينبغي القيام بذلك".

سؤال: هل تعتقدين أن حركة العمل لا تتحمل أي ذنب عن بدء المشروع الاستيطاني في الضفة الغربية؟

شابيرا: "لا يمكنني قول هذا. أولا، الاستيطان في غور الأردن حدث في فترة حركة العمل. كذلك فإن هذه الحركة سمحت بإقامة مستوطنات في منطقة غوش عتصيون. ولنقل إنه كان لدى القيادة كلها تعاطف مع غوش عتصيون، لكن الاستيطان في الخليل لم تكن هناك أية حاجة إليه أبدا، بل إنه عبر عن ضعف القيادة، التي لم يكن لديها القوة لإخراج الحاخام موشيه ليفنغر وأنصاره من الخليل. ولو منعت ذلك في حينه، لربما تم منع مصائب كثيرة حدثت منذ ذلك الوقت. كان المفهوم آنذاك أنه لا ينبغي الذهاب إلى أماكن من شأنها تصعيد الاحتكاك بين اليهود والعرب. ومنذ ذلك الحين، عمليا، فإن ما نشاهده هو تدني سلطة الدولة. بالإمكان التعبير عن الواقع الحاصل من خلال مقولة في التراث اليهودي مفادها: 'كل واحد عمل ما حَسُن في عينيه'. لكن هذا وضع يقترب من الفوضى. فأن يفقد الحكم المركزي السيطرة هو وصفة للفوضى. ولذلك قلنا مرة إن ثمة حاجة إلى بن غوريون من أجل أن 'يصنع ألتالينا' أخرى. وقد حدثت عدة أمور كحادثة 'ألتالينا' وأعتقد أنها ما كانت تحدث في فترة بن غوريون".

سؤال: وتصاعد هذا الواقع في فترة حكومات الليكود.

شابيرا: "صحيح. في فترة حكومات الليكود أصبح هذا الواقع جزءا من الأيديولوجيا. وآمل جدا أن يكون ما زال هناك احتمال لما هو مقبول على الجميع اليوم، أي حل الصراع من خلال الدولتين للشعبين".

سؤال: هل تعتقدين أنه ما زال هناك احتمال لحل كهذا؟

شابيرا: "لا أعرف. ما زال الأمر مسألة إرادة. إنه ليس مسألة قدرة، وإنما مسألة إرادة لدى كلا الجانبين. وفي هذه الأثناء، أنا لا أرى مثل هذه الإرادة".

التقسيم سيحافظ على "الدولة اليهودية"

سؤال: في اليمين الإسرائيلي، ولدى اليمين العقائدي على الأقل، تتعالى دعوات لضم الضفة الغربية إلى إسرائيل، وتحديداً ضم مناطق "ج" التي تشكل ٦٠٪ من مساحة الضفة الغربية. ما رأيك؟

شابيرا: "أعتقد أنهم لا يدركون الأمر الأساس الذي أدركه بن غوريون منذ العام ١٩٣٧، وهو أنهم إذا أرادوا أن تكون هنا دولة يهودية فعليهم أن يوافقوا على التقسيم. والمقصود طبعاً هو تقسيم نزيه يمنح الجانب الآخر إمكان العيش".

سؤال: هل تتابعين ما يحدث في العالم العربي؟

شابيرا: "قليلا. فأنا لست خبيرة في العالم العربي".

سؤال: لكن كيف تشعرين عموماً حيال التطورات والأحداث الجارية هناك؟

شابيرا: "أعتقد أننا في مرحلة انتقالية. ولا أحد يعرف إلى أين تسير الأمور، وخاصة في كل من مصر وسورية والعراق ولبنان. ما الذي سيحدث؟ لا أحد يعرف. وقد شاهدت جميع الخبراء الكبار يقولون، قبل سنتين، إن [الرئيس السوري] بشار الأسد لن يصمد نصف عام. أنا لم أقل شيئا في حينه، ولن أقول شيئا الآن".

سؤال: هل تعتقدين أن هذه الأحداث ستؤثر في مستقبل الصراع؟

شابيرا: "في حال ارتفاع مكانة الإسلام، مثلما يحدث عندنا مع الدين، فإن هذه وصفة موثوقة للعداء. ولا أعرف ما إذا كانت الأمور ستصل إلى حد الصدام. لكن العداء يتزايد وأخشى ألا يرى السلام أحفادي أيضا. لا أعرف ماذا سيحدث. أريد أن أتمنى الخير".

سؤال: خُضت سجالات كثيرة مع ظاهرة "المؤرخين الجدد". هل تعتقدين أن هذه ظاهرة مثيرة؟

شابيرا: "بالتأكيد. وأنا لم أكن متطرفة في هذا النقاش. أولا توجد أمور قالها المؤرخون الجدد ووافقنا جميعا عليها، مثل قضية الطرد في العام ١٩٤٨. كما أني أوافق على أنه ليس صحيحا أن الهروب حدث لأن الدول العربية قالت للعرب أن يهربوا. كذلك فإني لا أوافق على أن الجيش الإسرائيلي كان مسكينا طوال الوقت. فهو كان مسكينا حتى الهدنة الأولى [في حرب العام ١٩٤٨]، لكن بعد الهدنة الأولى، منذ تموز العام ١٩٤٨، تعززت قوته أكثر فأكثر وأصبح من الناحية العسكرية موازيا للجيوش التي حاربت ضده. لكنني لا أوافق على توجههم، وعلى توجه إيلان بابه مثلا، الذي يلقي كل الوحل على الإسرائيليين، ولا يرى الجانب الآخر، ويتجاهل أنه يوجد جانبان في كل حرب. هذا الأمر لا أقبله. وأشعر بمرارة جراء تهجماتهم، وهي ليست مقبولة، وهذا ليس عملا جديا أيضا. إضافة إلى ذلك، فإني لا أعتقد أيضا أن المشروع الصهيوني هو مشروع سلبي. يوجد إسرائيليون يشعرون أنه سلبي وأنا لا أشعر هكذا. وبالنسبة إلى الشعب اليهودي كان هذا [المشروع الصهيوني] بمثابة نهضة، من الناحيتين الثقافية والسياسية، ومن حيث كونه نوعا من انبعاث غريزة صحية لدى شعب أراد أن يتجدد. وأنا أعترف بأن إقامة دولة إسرائيل جلبت كارثة على عرب أرض إسرائيل. أعترف بهذا. لكنني لا أعترف بأن هذا كان ذنبنا فقط. كان هذا ذنبنا أيضا لكن ليس وحدنا. وبهذا أنا مختلفة عن المؤرخين الجدد".

"الدولة اليهودية" موضوع للبحث بيننا وبين المواطنين العرب

سؤال: نتنياهو يطالب الفلسطينيين بالاعتراف بالدولة اليهودية، أي أن يعترفوا بأن إسرائيل هي "الدولة القومية للشعب اليهودي". أي تبعات توجد لاعتراف كهذا؟

يوميات الإرهاب الاستيطاني في الخليل.

شابيرا: "أعتقد أنه يجب الاعتراف بإسرائيل. لكن هل يجب الاعتراف بها كدولة يهودية؟ أعتقد أن على إسرائيل أن تهتم بأن تكون دولة يهودية. أنا لا أفهم سبب تحويل موضوع إسرائيلي داخلي إلى موضوع للبحث بيننا وبين الفلسطينيين. وهذا موضوع للبحث بيننا وبين عرب إسرائيل بكل تأكيد. لكنني لا أفهم لماذا يتعين على السلطة الفلسطينية أن تعترف بهذا. لا يتعين عليها أن تساعد في هذا الأمر، ولا أن تعارض، لأن هذا ليس شأنها".

سؤال: منظمة التحرير الفلسطينية اعترفت بإسرائيل.

شابيرا: "نعم. هذا صحيح".

سؤال: لماذا تعتقدين أن موضوع يهودية إسرائيل هو مسألة مطروحة للبحث بينكم وبين الأقلية العربية في الدولة؟

شابيرا: "لأنه طرأ تطرف على مواقف الفلسطينيين – الإسرائيليين. هذا اسم غريب الفلسطينيون – الإسرائيليون".

سؤال: تقصدين المواطنين العرب في إسرائيل.

شابيرا: "تماما. لقد طرأ تطرف على مواقفهم، وبتّ أسمع أكثر فأكثر أصواتا تتحدث عن أنه يتعين على دولة إسرائيل أن تنفصل عن طبيعتها اليهودية كي يعترف بها عرب إسرائيل. وقد قال أحد ما مرة إن على اليهود أن يعتادوا على كونهم أغلبية، وعلى العرب أن يعتادوا على أنهم أقلية. وعلى اليهود أن يعتادوا على أنهم أغلبية مع بعض الثقة بالنفس، وعلى العرب أن يعتادوا على أنهم أقلية من أجل أن يعترفوا بأنه توجد هنا أغلبية أخرى، وأنه توجد للأغلبية حقوق أيضا".

سؤال: أنت تعلمين أن دولة إسرائيل لا تعترف بمواطنيها العرب كأقلية قومية، وإنما هي تعترف بأقليات

طائفية، مسلمين ومسيحيين ودروز وبدو.

شابيرا: "كيف يجب أن يكون الاعتراف بأقلية قومية برأيكما؟ لنأخذ مثلا فنلندا والسويد. كانت فنلندا تحت حكم السويد، ثم انفصلت وتوجد الآن أقلية سويدية في فنلندا، حوالي ١٥٪. أية حقوق توجد لهذه الأقلية؟ لغة، ثقافة".

سؤال: لكن حتى وفق هذا النموذج فإن اللغة العربية في إسرائيل باتت مهددة بأن تستمر كلغة رسمية.

شابيرا: "ستبقى لغة رسمية. لا شك لدي في أنها ستبقى لغة رسمية".

سؤال: وماذا عن حقوق التربية والتعليم؟

شابيرا: "نعم. لكني، على سبيل المثال، ما كنت سأؤيد إقامة برلمان منفصل للعرب".

سؤال: وماذا بشأن الحقوق الثقافية.

شابيرا: "هذا الأمر يجب أن يتحقق. باختصار لا توجد لدي مشكلة مع هذا. لكن لدي مشكلة فعلا بأنه من أجل أن يعترف الموطنون العرب بإسرائيل، فإنه ينبغي أن تتنازل عن صبغتها اليهودية. ماذا نفعل، لدينا دولة واحدة فقط. يجب أن تكون للعرب دولة فلسطين، ولليهود دولة إسرائيل مع حقوق للأقلية العربية".

سؤال: تقولين إن تطرفا طرأ على مواقف المواطنين العرب. هل بإمكانك أن تحددي الفترة التي بدأ فيها هذا "التطرف"؟

شابيرا: "منذ اتفاقية أوسلو. عندها بدأت فجأة حركة تسييس قوية للغاية بين صفوف عرب إسرائيل، وخسارة أن هذا حدث. وذلك على الرغم من وجود ظاهرة تتمثل في أنه في كل مرة يقفز أحد ما ولديه قانون [القوانين العنصرية التي يطرحها اليمين الإسرائيلي]، ولا يمكننا تحمل ذلك، وفي غالب الأحيان تختفي مثل هذه القوانين، وهي في طريقها إلى الكنيست. وعموما، أعتقد أن الجمهور اليهودي أصبح أكثر تسامحا وأكثر تفهما حيال تقدم الأقلية العربية، من حيث التشغيل والمساواة والتعليم وكل هذه الأمور. وما زلنا بعيدين عن كيف يجب أن يكون الواقع. لكننا في الطريق، والوضع أفضل، دعونا نقول، مقارنة مع ما كان قبل ١٠ أعوام أو ١٥ عاما. ومن الجهة الأخرى نحن نسمع أصوات وثائق الرؤية المستقبلية، وهذه مشكلة. وهذا يخلق مشكلة لأنه يبدو أنه يوجد تناقض هنا. فنحن، اليهود، نتجه نحو تسامح أكبر ونحو تقبل الأقلية العربية، والأقلية العربية ترد بالتطرف. هذا يخدم المتطرفين، إذ إن التطرف يولد التطرف".

سؤال: لكن استطلاعات الرأي، وكذلك دراسات كثيرة، تظهر أن السكان اليهود بالذات ليسوا أكثر تسامحا تجاه العرب. ولا تنسي أن هناك مئات كثيرة من البلدات اليهودية يُمنع العرب من السكن فيها.

شابيرا: "بالنسبة لي يمكن أن يسكن العرب هنا في تل أبيب. لكن بإمكاني أن أتفهم البلدات الصغيرة، مثل القرى العربية، التي تحافظ على الهوية المحلية، وتوجد صعوبة في قبول ذوي هوية أخرى. أنا أتفهم هذا".

سؤال: لكن هل ينبغي أن يتم سن قانون يمنع العرب من السكن في مئات البلدات الصغيرة؟. إضافة إلى ذلك، فإنه في العام ١٩٤٨ بقي ١٥٠ ألف فلسطيني في إسرائيل، وأصبح عددهم الآن مليون ونصف المليون نسمة. ومنذ العام ١٩٤٨ وحتى الآن لم تتم إقامة بلدة عربية واحدة.

شابيرا: "إذن يجب إقامة بلدات [عربية] جديدة. وأنا أتفق معكما. وفي الوقت ذاته أتفهم صعوبة البلدات الصغيرة في قبول أحد ما مختلف. توجد اليوم في عدة كيبوتسات ظاهرة تديّن الأفراد، أي أن أبناء أعضاء كيبوتسات يتدينون ويصبح مظهرهم مثل الحريديم. وهذا لن يصمد. وبرأيي أنهم لن يتمكنوا من البقاء في الكيبوتس، لأنه في أي مكان صغير يكون موضوع الهوية موضوعا مهما للغاية. وهناك أيضا الصمغ الاجتماعي الذي يربط بين أبناء مجتمعات كهذه. إذن، لا يمكنني أن أستوعب أنه توجد مشكلة هنا. لكن إذا تحدثنا عن تل أبيب، مثلا، فإنه إذا جاءت عائلة عربية للسكن هنا، فلِم لا".

سؤال: فيما يتعلق بما قلته عن الأقلية العربية بعد اتفاقيات أوسلو. أعتقد أن الأقلية العربية شعرت، وهذا ليس سرا وقد عبر عنه عزمي بشارة مثلا، أنه ها هم الفلسطينيون في الضفة الغربية وقطاع غزة والشتات قد توصلوا إلى تسوية مع إسرائيل، وجميعنا كان يؤمن في حينه أنه سيحل السلام. لكن أين الأقلية العربية في هذه التسوية؟ في هامش الهامش. وما زلنا مواطنين من نوع متدن بالنسبة لإسرائيل. وكان لهذا تأثير كبير على الأقلية العربية.

شابيرا: "أفهم هذا. وقد قرأت كل مقالات عزمي بشارة. لكن عليكم أن تفهموا أن اليهود هنا يقولون التالي: 'آه، هم يريدون دولة عربية في الضفة والقطاع، وهم يريدون

جزءا من إسرائيل أيضا. وستكون هذه دولة عربية صرفة في الضفة والقطاع، وهم يريدون أن تكون إسرائيل دولة مختلطة للشعبين'. توجد في إسرائيل أقلية عربية وهذا شرعي. لكن يجب ألا تطالب بحقوق قومية. حقوق ثقافية نعم، اللغة نعم، ولكن ليس أي حقوق قومية، وهذا، بالمناسبة، ليس موجودا في أي مكان في العالم. قبل شهرين، عُقد مؤتمر كبير في 'المعهد الإسرائيلي للديمقراطية' وتناول مسألة الدولة القومية والهجرة. وكانت بين المتحدثين شابة مثيرة للإعجاب من 'عدالة'. وقد ألقت خطابا شمل كل آثام دولة إسرائيل. وجلس الإسرائيليون صامتين. وهي أوضحت أنها تريد دولة، تكون دولة جميع مواطنيها، وتحق المساواة، ونوعا من الحكم الذاتي أيضا. وقال لها الضيوف، من فرنسا والولايات المتحدة وألمانيا، إنه لا يوجد شيء كهذا في أي مكان في العالم. وهذا يعني أنه ربما توجد مبالغة هنا. وما يخيفني هو أنه كلما أدرك الإسرائيليون اليهود أنه يوجد هنا تمييز ويجب تصحيح الأمور، يبدو في هذه الأيام بالذات أن الأقلية العربية تتجه نحو التطرف، وهذا يخدم المتطرفين اليهود".

عن انهيار اليسار

سؤال: وصفت نفسك في مقابلة صحافية بأنك تنتمين إلى اليسار المعتدل. هل بإمكانك، كمؤرخة، أن ترسمي خطا يفصل بين اليسار واليمين والوسط، أم أن كل شيء أصبح غير واضح؟

شابيرا: "حتى العام ١٩٧٧، لم يكن التفريق بين اليسار واليمين في إسرائيل يتعلق بالتوجهات السياسية، وإنما كان ذلك من الناحية الاجتماعية – الاقتصادية. ومنذ العام ١٩٧٧، أصبح التفريق بين حمائم وصقور. أي أن التقسيم أصبح سياسيا. وعادت القضايا الاجتماعية لتظهر مجددا في الفترة الأخيرة فقط، مع بدء الاحتجاجات الاجتماعية. هذه القضايا لم تكن مطروحة خلال عشرات الأعوام الماضية. لكن بالتأكيد يوجد فرق بين اليسار واليمين. والمصيبة هي أن اليسار، وأنا أقول ما أفكر به، انقسم وقد تم ذلك، بقدر كبير، بسبب الانتفاضة الثانية. لا شك لدي في ذلك. وأنا بقيت نصف عام في حالة كآبة. ببساطة كنت كئيبة. وأنا أمثل من هذه الناحية شعور جمهور واسع. فقد كنا نسير في اتجاه سلام، ولم نتفق. كان ينبغي أن نجلس أكثر. لماذا التوجه إلى العنف؟ لقد حدث أمر لا يمكن أن نقبله، وهذا دمر اليسار، ولا شك لدي في ذلك".

سؤال: هل السبب يعود إلى عنف الفلسطينيين أم إلى أداء رئيس العمل إيهود باراك؟

شابيرا: "عنف الفلسطينيين أولا. وهذا الأمر تسبب بانهيار إيهود باراك. لا شك في ذلك".

سؤال: هل أثارت الاحتجاجات الاجتماعية الأخيرة شيئا لديك؟ هل بعثت فيك الأمل مثلا؟

شابيرا: "دعكما من هذا. أنا أبحث عن زعيم".

سؤال: لكن يعتقد البعض أنه يوجد زعيم الآن، وهو يائير لبيد رئيس حزب "يوجد مستقبل"؟

شابيرا: "حسنا. سجلنا أمامنا ما يقوله البعض".

سؤال: والاحتجاجات جاءت مثل رعد في يوم صاف، ولم تكن هناك بوادر لها.

شابيرا: "حتى الرعد تسبقه سحب صغيرة في الأفق. أنا أتجول في أوساط باحثين شبان. وكانت هناك نواة من المثقفين الذين شكلوا مجموعات. هذه المجموعات كانت موجودة طوال السنين وخاصة في العقد الأخير. وهذا لم يولد صدفة. كانت هناك أنوية قبل انطلاق الاحتجاجات. وسنرى كيف سيؤثر ذلك".